هامعه. وذلك لفرط ما عراني من الخوف والوجل والحزي والخجل . لما فرط مني بطريق العجل . فلذلك قلت قول مرتجل . شعر :

لقد وافت الينا من حماكم جليل الركب دون انقضاض
نفستُ لها على الاقدام شوقًا لما تبديه من حسن التراضي
ولمّا افترّ مبسمها وفاهت باهداء السلام بلا انقباض
فرحت مقبّل الارضين شكرًا لحسن سماحكم عن كل ماضي
فلكم بحقّ ان يسمّى مسجبًا وذاكَ بلا اعتراض
ومسدوحًا ومحمود الثنا من جميع الناس في كلّ الاراضي (لهُ تابع)

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جمعان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات نثرّى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاته ١٢٥٠ (١٨١٢—١٨٣٥)

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك:

أتت بسحر بيانٍ ابانَ فضلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل ينبي عقدًا بديعًا جميلا
صحيح معناهُ يروي عن الصحاح نقولا
ما درّ درّ قوافٍ ترتّلت ترتيلا
فنّ الفصاحة فيهِ سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوّلون الى الاواخر قيلا
عنهُ التواريخُ تُروى براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا بين الانام جليلا
فهو يومٌ اتانا منهُ الثنا مستطيلا
وطال ما كان سمي سماءها مستقيلا
حتّى تشنّف منها وهام فيها ثمولا

وجاء في الديوان عينه ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب طرشيحا روى له قصائد منها قوله يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال :

واصبو الى لبنان وهي مواطنٌ عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كلَّل الله عزَّهم وشرَّف منها اربُعًا وطلولا
وبالجنبلاطيِّ البشير تشامخت جبالٌ بها تعلو المجرَّة طولا
فتىً ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ ابو قاسم حاز الكمال جميلا
همامٌ اذا ما الحرب شدَّت وثاقها ترى اسدًا للمرهفاتِ سلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ فيوقع في قلب العدوِّ خمولا
يجودُ وفيضُ الجود يحسُد جودهُ اذا جرَّ من بحر المكارم نيلا
به شرُفت ممتارة العزِّ في الورى وباروكها للفضل جاء دخيلا
تُذكِّرنا جنَّاتِ عدنٍ قصورُها واشجارها شيئًا تراهُ جليلا
فلا مثلها عيني رأت ذات بهجةٍ تكلَّلها من صيِّب السما اكليلا
وبابن عليٍّ عظَّم الله قدرها واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نقولا الترك :

هاتِ زدني من ذكر وصف نقولا ثمَّ أورد ادلَّةً ونُقولا
حبَّذا جئتا لنشهر الفضلَ منهُ وبما نال ينبغي ان نقولا
صيرفيٌّ حوى اللطافة حتَّى صار للطف حجَّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالترك فاترك سواهُ من بني العرب واتخذهُ خليلا

واشتهر في الجزائر محمَّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ ولهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمَّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ١٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والآداب فمنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٢٤٤) والشيخ القاياري مصطفى بن محمَّد الشافعي لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمَّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر ديني سمَّاهُ اتحاف الناظرين في

(١) اطلب تاريخ الجبرتي (٤ : ٢٢٧)

مدح سيّد المرسلين (١ . وُلد سنة ١١٥٨ وتوفّي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ — ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمّد الحفني المعروف بالمهدي وُلد من والدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدّم في المناصب وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) وتوفّي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م) . لهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستيقظ الناعس . وخدم البعثة الفرنسويّة العلميّة لمّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (١

ومنهم الشيخ محمّد الدسوقي وُلد في دسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت . قال الجبرتي (٤ : ٢٣١) « لهُ تأليفات واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل » وعدّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيّة والفقهيّة . توفّي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الأدباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أمور الموصل (Brit. Museum, n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484) وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) روضة الاحبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول الاسلامية . وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليمان باشا ١٢٢٣ ولهُ كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit., Mus. n° 1266) .

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصرهُ عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤

---

١) اطلب الجبرتي (٤ : ٢٢٣) وكتاب الاداب العربيّة لهوارت (Cl. Huart: *Littéralure arabe*, 417)

*

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثماراً جنيّة بالنظم والنثر لوجدنا قوماً منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقّي في العلوم البيانيّة

واوّل من نذكر منهم رجل عصره الذي ترجمناهُ سابقاً في المشرق (٣ : ٩ — ٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الاصل. كان متفنّناً بالآداب العربيّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرتهِ. وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ :

رعى الله حمصاً اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ ... بيانٌ سحبان في البديع من الشعر
بليغٌ غدا كالبحر والنظمُ درُّهُ ... وهل يُستفادُ الدرُّ الّا من البحر

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وكنّا روينا في المشرق (٣ : ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخاً لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظماً :

لكَ الرحمات يا لحداً ثراهُ ... بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيكَ اسى ... ويا اسفي لدرٍّ في ترائكْ
حويتَ الكوكبَ البحريّ علماً ... فيا عجبي لبحرٍ في خبائكْ
ولمّا ان ثوى نودي اليهِ ... هلمَّ الى سرورٍ في علائكْ
وفي الملكوت أرّخ ناطَ فوزاً ... بميخائيل تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحريّ ذرّيّة كريمة جرت على آثارهِ نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياتهِ وتقلّبهُ في المناصب العاليـة عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم لدينا من آثارهِ عدّة رسائل دوليّة واهليّة وكان بلغ النهاية في حسن الخط. وفي عبّود البحريّ قال الترك في موشّحهِ الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق :

كم تباهت دُرَرُ البحري على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ وتسارْ
وشدتْ من فوق أعلى الصُّحف لا ... يُنبت الدرَّ العفي الّا البحارْ
زُمَرُ الكتّاب طرّاً والملا ... من أولي الألباب تولية الوقارْ
كم تراهُ جاذباً ان رَقَما ... مدنَ الارواح كالمغنطيس
بل وكم يسبي عقولاً حين ما ... يُظهرُ الآيات فوقَ الطرسِ

ومِمَّن مدحوا عبُّود من الشُّعراء سليمان صوله قال فيه :

مولَى أبى الفضلُ الّا ان يلازمَهُ فلم يتمّ بمكانٍ فيهِ لم يَقُم
فقه منهُ ملاكٌ يرتقي فرقاً وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تخجل الابحار بالكرم السرّحار والذابل الخطّار بالقلمِ
اضحى لدائرة المعروف والكرم الموفور قُطبَ ملّا لولاهُ لم تَدُمِ
اهديكَ ياخلف البحريّ عاطفةً لماتوّر المجد حدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ جا كان القبولُ لها اعلى واغلى من الياقوت في القيمِ

وكانت وفاة عبُّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامه بقصيدةٍ طويلة قال فيها :

يالمنيَّة قد جازت وقد قدرتْ بدر فضلٍ لهُ الاداب هالاتُ
مولى اليراعة عبدالله مَنْ فُقدت لفقده وانقضت تلكَ البراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامهُ درراً تقلّدت بلآليها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يدهِ تفاخرت بديع الخط لاماتُ
ما لاعبتْ قلماً يوماً انامله الّا نَبتْ مشرفيّات صقيلاتُ
لمّا انى الناسَ ناعيهِ بكت اسفاً من اليراعة دالاتٌ ومبسماتُ

وكذلك اشتهر اخوهُ حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرّةٍ (ص ٢٨٧ ٢٨٩, ٣٠٢) كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالاً لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحر الّا انّهم درر الملى واهلُ الوفا لكنّ دأبهم البرُّ
وما منهمُ الّا نبيهٌ مهذَّب نراهُ بديوان اليراع هو الصدرُ
بجرمانس ساد الحسابُ واصبحتْ دفاترهُ الزهراء يشتهيها الزهرُ
يريك اذا هزّت براعاً بنانهُ عقودَ جمانٍ عادضها الحبرُ
وفاخرَ يوحنّا بانشائهِ الصبا فرقّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذوات الحسان اذا انتضى ليكتب سطراً انّما ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج اليراعة والثّنى وابناء بيتٍ مهدُهُ النظمُ والنثرُ

وللمعلّم بطرس مدائح أُخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة اندراوس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت :

تلقّاهُ الاله يقولُ أرّخْ وبشِّر الملكَ المعدَّ لذي اليمنِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامه :

برٌّ بغفران الاله مؤرّخٌ ونُعمٌ في روضة الافلاك

وتاريخ وفاة ابرهيم البحري (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢):

وفي الملكوت حاز لدى الهِ مع الأبرار أرخ خير روضه

وكان ميخائيل الصبّاغ الذي ذكرناه في جملة مؤرّخي زمانه شاعرًا وسطًا استحبّ الاوربيّون شعره العربي فنقلوه الى الفرنسيّة فمن ذلك ما مدح به البابا بيوس السابع لمّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال:

دهشت لرؤية وجهك الابصارُ وأضتْ لرؤيةِ مجدك الابصارُ
هذي العروسةُ يا سليمان انجلت في حسنها ولها القخارُ مطامُ

ومنها في المدح:

اليوم تحسدنا الملائكُ في السما لمّا نرى منّا العقولُ تحارُ
سامحْ نواظرنا اذ بكَ كرّرت نظراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الاوّل سنة ١٨١١ اوّلهُ:

هلّوا في الارض يا كلّ الامم واهتفوا فيها بألحان النغمْ

ومنها:

ايها القيصرُ بُلغتَ المنى كانَنا بالبكرِ خديكَ الهنا
انتَ منّا مستحقٌّ للثنا قد حيانا ربُّنا هذه النعمْ

ولهُ غير ذلك ممّا لا نتعرّض لذكرهِ والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشّحات ما يدلُّ على انّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانّما تعاطى النظم لستطافاً لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين (له بقيّة)

مطبوعات جديدة

LOUIS BREHIER: L'Eglise et l'Orient au Moyen-Age: Les Croisades. In-12, XIII-377, *Paris*, *Lecoffre*, *G. Gabalda et C^ie^*, 1907.(Bibl. de l'enseignement de l'histoire ecclésiastique).

الكنيسة والشرق في القرون الوسطى

هو أثر جديد من همة أصحاب الشركة التوليفية نشر تآليف شتّى لتعليم التاريخ الكنسي. مداره على ما ابدتهُ الكنيسة الرومانيّة من شارات الحبّ والانطاف الى الشرقيين وهو موضوع لم يكتب فيه احد قبل يومنا كتاباً مستوفياً. ومؤلف هذا التاريخ من كبار الاثريين تُغني شهرته بين العلماء عن تعريفه ومن يتصفّح تأليفهُ يقضي العجب